قرأت العدد الماضي من "الآداب"

الأبحاث

النقد الاول للابحاث [1]

بقلم الدكتور محمد مندور

قرأت في مستهل العدد مقالين عن مأساة الجزائر وتبلد الضمير الفرنسي إزاءها ، وليس من شك في ان هول هذه المأساة وغضب الامة العربية من قسوة الاستعمار الفرنسي الغاشم تبرر نشر مقالين متتابعين عن نفس الموضوع الذي يعتبر من مواضيع الساعة ، والمقالان وان لم يعتبرا من مقالات البحث الا انهما يعتبران عملاً انسانياً كريماً بل واجباً قومياً مقدساً احسنت مجلة « الآداب » صنعاً بنشرهما بوصفها مجلة ثقافية كبيرة مقروءة في العالم العربي كله ، وهما يحققان الهدف المقصود في استثارة النخوة العربية لنجدة اخواننا المجاهدين في الجزائر ، كما انهما لا بد ان يساهما في لفت انظار العالم نحو هذه المأساة واثارة ضميره وبخاصة والدول الآسيوية والافريقية على وشك إثارة هذه القضية في هيئة الامم .

ثم يأتي بعد ذلك مقالان متتابعان عن مشكلة اللغة الفصحى واللهجات العامية، احدهما بقلم الاستاذ رئيف خوري والآخر بقلم الاستاذ اديب قعوار ، وكلاهما رد على مقال نشر في العدد السابق من الآداب بقلم الدكتور عبد العزيز الاهواني بعنوان « اللغة العربية في حرج » .

ولقد عدت الى مقال الدكتور الاهواني لاتبين مجال المناقشة ، والمشكلة عويصة وحجج الجانبين تحتوي على الكثير من الحقائق التاريخية واللغوية ، بل ان وجهة النظر السياسية عند الفريقين لا تخلو من وجاهة : فالدكتور الاهواني يرى ان الاستعمار قد خنق اللهجات الشعبية وقتل الروح الوطنية التي كانت تستطيع ان تخلق القومية الاقليمية وان يكون من بين ثمار هذه القومية الارتفاع باللهجة العامية الى مستوى اللغة القومية التي تصلح لان تكون اداة للادب والثقافة ، وذلك بينما يرى الاستاذان رئيف الخوري واديب قعوار ان الاستعمار قد كان يتمنى على العكس ان لو استطاع ان ينمي اللهجات المحلية، وان يقضي على اللغة الفصحى الموحدة، وبذلك يقضي على القومية العربية التي تعتبر وحدة اللغة من اسسها القوية المتينة ان لم تكن اساسها الاول .

واذا كانت لي ملاحظات على هذه المشكلة وعلى المقالين اللذين تناولاها في عدد الآداب الاخير ، ودافعا دفاعاً حاراً عن اللغة الفصحى، فانها تنصب على عدم فطنة الكاتبين الفاضلين الى الدوافع والاهداف التي عادت فاثارت هذه المشكلة في مصر ثم اتجاهاتها المختلفة .

والواقع ان مصر وان تكن قد استقرت سياستها الرسمية والشعبية على تعزيز القومية العربية حتى لقد نص الدستور المصري الجديد على اعتبار مصر بلداً عربياً ، وشعبها جزء من الشعب العربي ، الا ان هناك محاولات تبذل لاظهار طابع اصيل في ثقافة مصر الحديثة كأثر للانتفاضة الثورية الاخيرة ، ونحن في مصر لا نرى تعارضاً بين قوميتنا العربية الموحدة وطابعنا الثقافي المتميز الذي نريد ان ننميه ، كما اننا لا نرى اي تعارض بين تلك القومية الموحدة والطابع الثقافي المتميز للبنان او لسوريا او للعراق او للجزيرة العربية . والرأي الغالب في مصر الآن اننا لن نستطيع خلق الطابع المصري المتميز الا اذا استقيناه من طبيعة الشعب المصري وخصائص مزاجه ، وهذه الطبيعة وتلك الخصائص لن نعثر عليها الا في الادب الشعبي الذي يكون جزءاً من الفولكلور المصري ، وهذا الادب الشعبي قد دون جزء كبير منه في عدد من القصص والاغاني الشعبية وبقي جزء كبير منه بدون تدوين . والهمة متجهة الآن نحو عملية تدوين وتسجيل كبرى للأدب الشعبي والموسيقى الشعبية والفولكلور المصري كله ، كما ان الدعوة موجهة الى ان يتخذ هذا (الادب) الشعبي مصدراً للوحي والايحاء في خلق الآثار الادبية الجديدة التي نود ان تحتفظ بالروح المصرية وبخصائص المزاج المصري على ان تصوغ هذه المادة الاولية وفقاً للأصول الفنية المعتمدة في الاداب والفنون العالمية المتطورة، وذلك لانه من غير المعقول ان نرجع بمسرحنا الحديث الى « الارجوز » وبالفن السينمائي إلى « خيال الظل » .

ثم اننا نبادر فنقرر ما هو ملاحظ في الادب الشعبي المدون من ان منشئيه المجهولين الذين رغم مواهبهم الفطرية لم ينالوا قسطاً كبيراً من العلم وبخاصة باللغة الفصحى قد حاولوا ما وسعهم الجهد ان يرتفعوا بلغة تعبيرهم الى مستوى اللغة الفصحى ، ولذلك نرى قصص « الف وليلة » و « عنترة » و « ابو زيد » و « السيد البدوى » و « ذات الهمة » وغيرها اذا كانت قد كتبت بلغة غير معربة إلا انها مع ذلك لا تبعد كثيراً عن متن تلك اللغة بحيث لا يصعب فهمها على عامة الناس في اقاليم العرب المختلفة ، وقلما نعثر فيها على عبارات محلية بحتة ، وعلى العكس من ذلك نلاحظ ان اللهجات المحلية البعيدة المدى عن متن اللغة الفصيحة لا تظهر بكثرة الا في القصص أو الاغاني التي يحاول الشعراء والادباء المثقفون كتابتها محاكاة للادب الشعبي ، او تقليدا له ، فهؤلاء يمعنون في التشبه بالعامة بينما العوام الحقيقيون يحاولون ان يتشبهوا في لغتهم بالفصحاء ، وهكذا تظهر ظاهرة غريبة متناقضة : إذ نرى المثقفين يتصنعون لغة العوام بينما يحاول العوام ان يحاكوا لغة المثقفين .

---

[1] عهدت « الآداب » في نقد ابحاث العدد الماضي الى اديبين اثنين ، خوفاً من ان يعتذر احدهما في آخر لحظة ، كما حدث في السابق . ولكن الاديبين الكريمين استجابا كلاهما ، لحسن الحظ ، فكسبت « الآداب » رأيين اثنين يسرها ان تنشرهما في هذا الباب .

والرأي الصحيح فيما يبدو لنا هو ان نترك الشعب ينتج ادبه وينفس عن خواجله بالاداة التي يملكها والتي يستطيعها ، وان لا يحاول المثقفون منا محاكاة هذا الادب في صورته الفنية البدائية بل يستوحوا روحه ومادته ليصوغوها الصياغة الفنية التي تفيد من مكاسب الانسانية في هذا الميدان ، والواقعية اذا اقتصرت على اللغة وعاميتها كانت واقعية هزيلة ، بينما الواقعية الحقة هي واقعية النفس وحقائق الحياة الدفينة .

وعلى اية حال فلا ضير في تدوين الفولكلور الشعبي ودراسته وتحليله واستخلاص القسمات الروحية المميزة له ، بل ولا ضير ايضاً في استيحاء هذا الفولكلور .

واما من حيث اداة التعبير فيخيل الي ان وجهتي النظر لا تعارض بينهما ، فلا ينبغي ان تظل اللغة الفصحى متحجرة مقيدة خالية من الحياة النابضة بل ومن العصير الشعبي فضلاً عن ضرورة اتساعها حتى تستوعب مكاسب الفكر الحديث وغزواته الواسعة في ميادين العلم والثقافة ، ولكن من جهة اخرى لا ينبغي لبعض رجال الادب والفكر عندنا ان ينساقوا بأقيسة نظرية بين العربية الفصحى واللاتينية وما تفرع عن كل منهما من لهجات محلية اصبحت او لم تصبح لغات قومية — لا ينبغي ان ننساق بمثل هذه الحجج او غيرها الى ان نصطنع لهجات عامية يعمل اصحابها الحقيقيون من عامة الشعب على ان يرتفعوا بها إلى ما يقرب من الفصحى في كل ادب شعبي يصدر عنهم ، كما يعمل انتشار التعليم والثقافة فضلاً عن روح القومية العربية الناهضة على إزالة الشقة التي تفصل بينها وبين الفصحى .

هذا ولقد أثار تدريس اللهجات العربية المحلية بمعهد الدراسات العربية العليا بالقاهرة في العام الماضي مناقشات مماثلة ، فزعم البعض ان في هذه الدراسة اساءة إلى القومية العربية والى اللغة الفصحى التي ترمز لهذه القومية وظنوا في هذه الدراسة تأصيلا للهجات المحلية وللحدود الفاصلة بينها ، ولكن هذا الهلع لا محل له ، وذلك لان دراسة اللهجات عمل علمي في ذاته يساعدنا على تنمية ثقافتنا اللغوية العامة ، والاهتداء الى كثير من القوانين الصوتية واللغوية العامة فضلا عن مساهمتها في استنباط الخصائص والامزجة المحلية ، بل ومميزات الحياة الخاصة والعامة في كل اقليم باعتبار إن كل لهجة تعتبر مرآة للحياة في اقليمها .

وفي النهاية إذا كان لنا ان نرجو ثمرة من مثل هذه المناقشات فهي ان تسفر عن تطوير اللغة الفصحى وتوسيع آفاقها ونفث الروح والحياة فيها حتى تساهم هي الاخرى في قطع المسافة التي لا تزال تفصلها عن اللهجات العامية حتى نخلص بلغة سلسة حية قريبة المأخذ تصلح لان تكون وعاء للأدب والثقافة الاصيلين اللذين نتلهف على ظهورهما في عالمنا العربي الموحد المتجاوب في طوابعه وامزجته تجاوباً يجعل من انتاج العرب الادبي والفني باقة منسقة على نحو ما يجب أن يتنسق إنتاج الاقليم الواحد بل والمدينة الواحدة رغم تفاوت الامزجة الفردية والاصالات المحفورة .

وانتقل بعد ذلك الى مقالين مترجمين اولهما بعنوان « العلم والفلسفة والعالم المحسوس » لجان قال وقد قام بترجمته الاستاذ مجاهد عبد المنعم مجاهد ، والآخر بعنوان « النظرية والتجربة » بقلم لويس دوبرولي يبدو ان قلم التحرير بالمجلة هو الذي قام بترجمته .

والاحظ ان المقال الاول لم يخرج صحفياً الاخراج الواجب ، فهو لم يصحبه تعريف ولو موجز بكاتبه ومكانته الفلسفية ، كما لم يصحبه تقديم يلفت نظر القارىء الى موضوع البحث وخطوطه الرئيسية واهميته حيث يشتاق الى قراءته ، وذلك بينما استكمل المقال الثاني بعض هذه الضرورات الشكلية او الصحفية .

وموضوع المقال الاول عسر الهضم في ذاته فضلا عن نشره في صحيفة للثقافة العامة غير الضيقة ولا المتخصصة ، والترجمة سقيمة معقدة غير مضبوطة ولا مفهومة ولا مستقرة على خطة في تعريب الاصطلاحات الفلسفية ، فكلمة neutral ترجمت حينا بالمعتدلة ، وحينا بالمحايدة ، وكلمة Trascendence ترجمت حينا « بنظرية البرانية » وحينا « نظرية الخارجية » وكلا اللفظتين عقيم غير مبين ولا محدد او كما يقال : غير جامع ولا مانع . وانه ليؤلمني ان انفق وقتي ووقت القراء في التعليق على مثل هذا المقال الغامض العقيم الذي زادته الترجمة الفجة غير المستقيمة ولا الهاضمة عقما وغموضاً وهلهلة ، حتى لقد دهشت اذ رأيت ادارة مجلتنا المستنيرة تبهظ صفحاتها بنشر مثل هذا المقال .

اما المقال الثاني فبالرغم من انني لم اطلع على اصله الفرنسي ، الا انني قد احسست باستقامة ترجمته واستقامة التعبير فيه ، ونشره لا يخلو من نفع وان كان في موضوعه يعالج بديهيات معروفة في العلاقة بين التجربة والمعرفة ، وان كنت لا اجهل مكانة كاتبه العلمية العالمية ، ومع ذلك يلوح لي انه محدود القيمة ، محدود الاصالة والجدوى على عدد كبير من القراء .

ويبقى علي النظر في مقالين احدهما بعنوان « الادب الاباحي » بقلم اسمى طوبي والثاني بعنوان « ابسن والمسرح » بقلم خالد القشطيني ، وملاحظتي على المقال الاول انه لا يعتبر بحثاً وانما يعتبر دعوة اخلاقية كريمة لمحاربة الادب الاباحي . وان يكن الموضوع في ذاته يحتاج الى شيء من التعمق للتمييز بين ادب متحرر يهدف الى تنفيرنا من قبح الاباحية وادب آخر مريض قد يهدف الى الاغراء بها . ومن الواجب ان نحتاط في تضييق الحرية على الاديب او ان نلزمه بتجاهل بعض الحقائق الواقعة في الحياة ، وذلك لان تجاهل الواقع لا يمحوه وربما كان من الخير احياناً ان نكشف الستار عن هذا الواقع مهما يكن مؤلماً جارحاً لنظهر ما فيه من قبح ، ومن المؤكد ان القبح مرادف للرذيلة والشر .

وفي النهاية يلوح لي ان المقال المنشور عن « ابسن والمسرح » هو خير ما نشر في العدد من ابحاث . والسبب في ذلك هو ان كاتبه قد بذل في إعداده ما يجب من جهد ، فلم يقنع بما كتب عن ابسن بل عاد الى مؤلفات ابسن نفسه وقرأها في فحص وتمعن ، وبنى احكامه ودراسته على النصوص ذاتها ، وهذا هو المنهج السليم في كل نقد ادبي صحيح وفي كل بحث جدي . ومن الواجب ان ندعو دائماً الى الرجوع الى النصوص الادبية ذاتها والى درسها وقراءتها بامعان والاستناد اليها فيما نقدم من رأي او حكم ، كما ان هذا هو الطريق الوحيد لاظهار اصالة الناقد او الباحث ، فضلاً عن دلالته على استقصاء البحث في مصادره الاصلية .

القاهرة — محمد مندور

•

النقد الثاني للابحاث

بقلم سامي الدروبي

قصائد ومقالات عن الجزائر

« الديموقراطية والابادة » إفتتاحية عن الحرب التي تدور رحاها بين المستعمر الفرنسي في الجزائر ، وبين الشعب العربي المناضل في ذلك القطر الباسل .

و « رسالة الى صديقتي » قصيدة من عيون الشعر يبعث بها سجين في الجزائر الى رفيقته المناضلة .

و « مأساة شعب وتبلد ضمير » عرض واف عميق لجرائم الاستعمار الفرنسي في الجزائر .

و « ترنيمة » قطعة من جميل الشعر المنثور ، ترتلها ام لطفلها ، تحدثه عن ابيه الذي ذهب يقاتل الاستعمار في جبال الجزائر .

و « المروحة » قصيدة حلوة تصور قصة الحمل والذئب يوم احتل الاستعمار الفرنسي الجزائر ..

هذه المقالات والقصائد تقع من « الآداب » في صدرها ، فمرحى « الآداب » ومرحى لكتابها وشعرائها ! ان الاديب العربي لا يعيش اليوم في برج عاجي ، مكتفياً باجترار احلامه الفردية وقيئها ، بعيداً عن آلام شعبه ، غافلاً عن مشكلات امته !

ولكن هل لي من ملاحظة ؟ ان مقالتي « الديموقراطية والابادة » و« مأساة شعب وتبلد ضمير » تصوران وحشية الفرنسيين ، وتتنبآن بزوال الاستعمار عن ارض الجزائر العربية ، وتمجدان بسالة عرب الجزائر . ان مقالة « مأساة شعب وتبلد ضمير » خليقة بان تترجم الى اللغات الاجنبية وان تنشر على الرأي العام العالمي بكل الوسائل ، فذلك اجدى على العرب من التوجه بها الى العرب انفسهم . فالعرب يعرفون هذه الحقائق ، او هم يتخيلونها على اقل تقدير ، وانفع منها مقالة توضح للعرب ان حرب الابادة التي تشنها فرنسا على عرب الجزائر بمساعدة دول حلف الاطلسي هي جزء من خطة استعمارية كاملة يراد بها الحيلولة دون انطلاق العرب الى حريتهم ووحدتهم ونهضتهم ، وان على الدول العربية ان تستلهم سلوكها حيال ثورة الجزائر من هذه الحقيقة ، فلا تضن على عرب الجزائر بكل ضروب المعونة المادية والمعنوية .

حول مسألة العربية الفصحى

عدت الى مقالة الدكتور عبد العزيز الاهواني المنشورة في عدد نيسان قبل ان اقرأ رد الاستاذين رئيف خوري واديب قمحاوار . ولا ادري كيف خطر ببالي وانا اقرأها هذا الخاطر : ان « اترجما » الى العامية المصرية ، حتى اذا فرغت من ترجمة نصفها تقريباً على هذا النحو ، مضيت الى رواية لتوفيق الحكيم يدير فيها الكلام بين ابطاله بالعامية المصرية ، « فترجمت » عدداً من الصفحات الى الفصحى . فخرجت لي من هذه التجربة اضواء باهرة تعلن ان المشكلة التي نتناقش فيها مشكلة زائفة اصلاً او انه لا يبقى ثمة مشكلة متى قبلنا في الفصحى « التخفيف والتسكين » ، ومتى « الحقنا بها الجميل ، والمعبر والمستخف من الالفاظ التي استحدثتها العامية » ، واننا عندئذ لا نضحي من العامية الا بما يجب حقاً ان نضحي به والا بما لا يصعب على العامي فهم صحيحه من الكلام العربي الفصيح ، كقولنا « لذلك » بدلا من « علشان كده » او كقولنا « كيف » بدلا من « ازاي » الخ الخ ...

لقد انشقت لي هذه التجربة عن ملاحظات كثيرة يحلق ان تكون موضوع مقالة تفرد لها ، ولعلني فاعل ذلك يوماً .

وما كان اشد فرحتي حين قرأت مقالة الاستاذ رئيف خوري ، فوجدته ينتهي الى عين ما انتهيت له من تجربتي ، في جوهر الامر .

اما رد الاستاذ قمحاوار ، فقد تناول بعضه فكرة بدت للدكتور الاهواني في الماضي ، ثم تنازل عنها ، ورد هو نفسه عليها . وصحيحة بعد ذلك ، انتباهة الاستاذ قمحاوار الى ان لكل لغة من لغات العالم ازدواجها وان العربية ليست في هذا بدعاً بين اللغات .

مقالتان فلسفيتان

« العلم والفلسفة والعالم المحسوس » فصل من كتاب لجان فال احد اساتذة تاريخ الفلسفة بالسوربون ، ترجمه الاستاذ مجاهد عبد المنعم مجاهد عن ترجمة انجليزية . قلت لنفسي : ليت هذا الفصل قد ترجم عن الفرنسية رأساً . ثم تساءلت : هل مجلة « الآداب » هي المكان الذي ينشر فيه فصل من كتاب فلسفي يتوجه به صاحبه الى اختصاصيين في الفلسفة لا الى المثقفين عامة ؟ ثم زاد الطين بلة انه بدا لي ان المترجم قد لا يكون متمكناً كل التمكن من الموضوع الذي عقد هذا الفصل له ، والا فكيف يترجم كلمة Function بكلمة وظيفة ، في السياق الذي وردت فيه هذه الكلمة (« وكما اشرنا في الفصل عن العلية ، فان فكرة العلية قد حل محلها فكرة الوظيفة والعلاقة ») . لو كان الكلام يدور على البيولوجيا لكانت كلمة Function تعني وظيفة ، لان « الايضاح » هنا يعتمد على فكرة الغائية . اما وان الكلام يدور على الفيزياء ، فالمقصود هنا هو « التابع » لا « الوظيفة » . ان المؤلف يريد ان يقول ان القانون العلمي اصبح يعني تقرير علاقة بين « متحول » و « تابع » بعد ان كان يشتمل على معنى العلية ، منذ ايام الاغريق القدماء . والاصطلاح « متحول - تابع » يعرفه كل من له المام بالرياضيات التي هي اداة العلم ، كما يقول جان فال .

و« النظرية والتجربة » مقال فلسفي آخر كتبه لوي دوبرولي ، وهو من اكبر العلماء المعاصرين ، فيه من الوضوح ما يجعل المثقفين عامة يسيغونه ويستفيدون منه ويغنون به ثقافتهم ويطلعون من خلاله على القول الفصل فيما بين التجربة والنظرية من علاقة في البحث العلمي . وقد استقام للمترجم قلم من مستوى قلم الكاتب وضوحاً . غير انني توقفت عند هذه العبارة : « لقد قست تياراً من عشرة آمبير » واغلب ظني ان ها هنا خطأ مطبعياً ، وان الاصل هو : « من مرتبة الامبير » ، فكذلك يستقيم المعنى *.

الادب الاباحي

الادب الاباحي هو الادب الذي يتبنى الاستهتار والانحراف ، وعلى هذا الاساس تعتبر بعض آثار اندره جيد واوسكار وايلد من الادب الاباحي ، ولا تعتبر قصة « رسالة من امرأة مجهولة » من هذا اللون من الادب . ولست اعرف في العربية كاتباً ذهب ذلك المذهب في الادب وجعله رسالته « مفلسفاً » اياه ، ان صح التعبير . وكل ما هنالك ان بعض الكتاب الذين يعرفون من اين تؤكل الكتف ، وكيف يجمع عدد كبير من القراء المراهقين ، وكيف يضمن لمؤلفاتهم الرواج السريع والربح الكثير ، اتخذوا لكتاباتهم مواضيع تثير الفضول الجنسي ، او حشوا كتبهم بمشاهد توقظ الرغبة الجنسية ، ولم يكن في ادبهم ، الى ذلك ، شيء من عمق النفاذ او اصالة الفن اللذين قد يشفعان لهم عند الحقيقة وعند الذوق .

والصيحة التي تطلقها كاتبة المقال صادقة ، والمها مبرر ، وانه ليحز في النفس ان نرى مجلات برمتها تفرد لاخبار الممثلين والممثلات ، وتروج رواجاً هائلاً ، ويباع من اعداد كل منها ما يباع من اعداد المجلات الادبية والثقافية كلها مجتمعة ، وانه ليحز في النفس ايضاً ان نرى صفحات برمتها من الجرائد اليومية والصحف الاسبوعية تنفق فيما يسمونه اخبار المجتمع وغير ذلك : جرائم المجرمين ، تفاهات الممثلين والمثلات وانباء عشقهم

* « الآداب » : راجعنا المقال في اصله ، فرأيناه يثبت العبارة كما ترجمناها : اي « لقد قست تياراً من عشرة امبير » فالخلاف يقوم اذن بين المعلق وصاحب المقال ...

وتبذلهم ..الخ .

ان الشباب يتغذون من هذا الغث ، وينصرفون به عن الغذاء المفيد.

دمشق — سامي الدروبي

القصائد

بقلم هنري صعب الخوري

يخيل لي على حد تعبير بيير جان جوف Pierre Jean Jouve بتوسع قد يكون لم يذهب اليه ، في يومياته التي اصدرها مؤخراً بعنوان : « في المرآة » ، أقول : « يخيل لي ان الشاعر في عصرنا الراهن يكتب بدمه.» فهو لا يلعب اللعبة التي يتطلبون ، ولا يمارغ او يتملق ، ولا يكاد يتفق مع المساومين ان في الذوق او في الفوائد العامة ، بل هو قد يمتد حيث لا مجال للعنود ، ويبدع برغم من كل تثبيط وازراء ، فوق انه قد يحمل الرسالة التي تصم دونها الاسماع ، وتتوشج الارتكاسات، فينبعه من هنا حماة نظم وتقاليد وقومية مزيفة ، وتنبعه من هناك عصابات اشبه ما تكون بتجار ادب كانوا وما زالوا يعرفون بمرض العصر في كل عصر نبذ كفنه ، وقام يظلع في ثقل من القلق ، اراه اليوم في اهتياج متصاعد .

ان الخرافة التي انتهت على لسان بودلير في احدى نثراته عن الشعر وهدفه ، الى فصل الالهام عن الحقيقة والعاطفة ، وركزه في عالم غير عالمنا ، يلحظ ان الحقيقة هي قوت الفكر ، وان العاطفة هي سكرة القلب ، وكلاهما يؤذي الجمال الخالص، ويضلل الاشواق الصافية والاحزان الانيسة ، والآمال السامية التي تقطن الابراج الشعرية فوق الطبيعة ، او يلحظ ان الشعر تحت طائلة الزوال والانحطاط لا يستطيع مجاراة العلم او الاخلاق،لانه لا يتخذ الحقيقة كهدف ولا يعتبر غير نفسه ، ان الخرافة التي انتهت الى مثل هذه الاقاويل ، اصبحت في حاضرنا تشيع الحذر بقدر ما كانت تشيع الحدر في جبل من الناس ولا تزال ، ولكن على نطاق لا يتعدى تلك الاصداف المتحجرة على رؤوس الجبال كرموز لعهد الطوفان . والا فكيف نفسر ازورار الجمهور عن الشعر وزجه في مطارح النسلية ،حتى بات لا يعدو دوره احياناً ، عند كثيرين من المثقفين دور مخيل او مدهش ؟ الا يؤول ذلك الى نقص في المادة ، الى فقدان اي تماس بالحياة، اوبالاحرى الى جهل الشعراء انفسهم للامكانات الدفينة في خاصيات الشعر ؟

ان الواقع باعتقاد الشاعر الانجليزي ت. س. اليوت« هو ان كل عصر يحتوي على كلية مشوشة من الماهيات الشعرية ، وليس على الشاعر الا ان يستفرغها ويظهر قيمتها » .

وعليه ، فان تكن التطورات الاجتماعية والتقدم الصناعي والآلي ، او الانقلابات السياسية والحروب ، وقد شوهت حالاتنا الحياتية ، فان القلب والنفس بالاضافة الى حالة الانسان ذاته ، ما برحت جميعاً تتكشف عن بكورية لم تشب بكدرة تمنعها من التعرف الى ذاتها على ضوء الماضي ، او الاهتداء الى ذاتها على ضوء المستقبل .

ان مجرد التفاتة الى الوراء – ولتكن عبر التاريخ الادبي الفرنسي لامتيازه بطابع التنظيم– ترينا انه ما من جيل مر في طفرة من القلق وعدم الاستقرار فشهد شعباً يتلاشى كالدخان، وشعباً يخرج من قمطه،الا وصاحبه فنانون للتعبير عن هذه الظاهرة .

على انه يجب الا يغرب عن بالنا ،ان العمل الفني لا يقتصر على هدهدة مخاض الحياة الجديدة ، ولا على تنغيم الوعود « الايبية » Nostalgiques بل عليه ان يكافح حتى يستأصل اليأس الذي يرافق الانهيارات التطورية ، وانذارات الرعب الذي يمكن ان يتولد في المستقبل ، غير غافل عن ان يستمكن في العالم الحسي والروحي معاً على نحو ما نجد في الكاتدرائيات القوطية وفي اعمال ميكالانج وشعر فيون في القديم . وت . س . اليوت ولوركا وبيير جان جوف في بعض اعماله في الجديد .

وهذا ما تنبه له بعض الشعراء في العالم العربي ، فاذا بنا نسمع اصواتاً – وخاصة على صفحات هذه المجلة – اقل ما يقال فيها انها اعادت الى الشعر هيبته في هذه الرقعة من الارض التي فرهت للشعر دون غيره منذ فجر تاريخها .

اما فيما يتعلق بقضية التحرر من الاوزان ، فاني اكتفي بما ذهب اليه اراغون في مجرى كلامه عن القافية في عام ١٩٤٠ ، « من اننا نجتاز مرحلة اصبح فيها تفكيك البيت الشعري امراً عادياً ، وانما هذه الحرية التي اغتصبها الشعر الحر اخذت اليوم تسترجع حقوقها لا في التساهل بل في العمل على الخلق .»

نعم ، ان المسألة لم تعد تنحصر في التمايز بين التحرر والتقيد، بل في الاجتهاد القائم على الاستفادة من الشكل الجديد ، وتطويعه لادخال عناصر جديدة على الشعر العربي لم يسبق له ان الفها . اما اذا ما ارتفعت الاصوات المستنكرة ،فلاغرو ،فالمجددون انى وجدوا قلة،والتجديد انى ظهر هز أفستكتبلها الغلبة في آخر الامر،كما يشير الى ذلك تاريخ«الفن الحي».

واما التشويه والتزييف فلنتركهما للزمن الذي لن يبخل بالحساب .

هذا بعض من كثير ، لم ار بداً من الافصاح عنه في هذا المطاف الضيق ، ان طلب الي النظر في قصائد العدد الماضي نتيجة الاستجابة الى ما يملك بعضها من الطاقات التي تتنزل في هذا المفهوم ، ونتيجة الاستجابة الى مدعاة الترويح عن النفس التي اورثت الغثيان مما يصلها من زعانف المجمجمين .

والآن فلنبدأ :

قلت في مطلع الكلام ، ان هناك قلقاً أراه اليوم في اهتياج متصاعد. والمطلع على الادب المعاصر ، يلمس نوعاً من التناحر بين وجوديتين ، وجودية صراع ويأس وموت تعيشها ، ووجودية مشاركة وامل وحياة نتوق اليها . صبغتان قد تتداخلان في العمل الواحد احياناً ، فيخرج كالارقش او كالثوب المبقع – ان صح التشبيه – على النحو المنقشي في ادبنا اخيراً . ومرد ذلك الى اننا شعب لا يستسلم لليأس بل هو يأمل ويريد ان يقهر القوى التي يحاول قهرها.«وميزة الامل هذه – كما يقول جابرييل مارسيل في كتابه Etre et Avoir – هي خاصية « الاعزال » Désarmés من الكوائن » . فنحن بالنسبة الى السوي فقراء الى المادة التخريبية التي نهدد بها . ولكننا اغنياء بالرجاء والارادة اللذين سيقرران مصيرنا تحت هذه القطعة من الضوء ولو ادى ذلك الى الوبال المستهلك .

من نماذج هذا اللون يعرض العدد الماضي من« الآداب »ثلاث قصائد: رسالة الى صديقي لكاظم جواد ، وترنيمة لاحمد سويد ورسالة الى لؤي لمحيي الدين فارس . واما في الاربع الباقيات فنجلي اللون المضب وحده في المروحة لابي القاسم سعد الله ، وعتاب رقيق في رسالة لابي المكارم عبدالله والثأر المستطرب في فلسطينية تازحة لعزيزة هارون ، وتنفرد اغنية في شهر

آب لبدر شاكر السياب بنمط سيأتي ذكره .

رسالة الى صديقي : كاظم جواد

تقولين لي والجدار الكبير
يحجب عينيك عن مقلتيا
« غداً نلتقي » فالرجاء الاخير
تراءى الينا .. واحنى عليا .

بهذا الشعور المستبشر خاطب السجين الجزائري رفيقته المناضلة. ثم راح يعترف من وراء باب زنزانته المغلق ، بتسلسل من الصور ، ينفرج عن الوحدة الخانقة والغنوة المكسرة في الليالي الحزانى ، كما هي الحال عند الانسان المعاصر . ولكن ما يميز هذا السجين هو انه انسان لن يقرس في قيده ، فيه حب من عالم اضاع في نظره كل معنى ، وحال الى دائرة من العبث ، بل سينهار امامه ذاك الجدار الكبير ، ويندك سور الشقاء ، ويحدو القوافل المقبلات مع الشمس صوت الرجاء الاخير .

كل ذلك ببساطة في التعبير تسندها فنية يوفق لها غالباً صاحب هذه القصيدة . فالكوكب المونق والانشودة المحبوكة من الليل والغاب ومن هدأة السنبل ، من الصخر ومن رنة المعول والنجوم الاويات الى غرفة مغلقة والمتوهجات مع الاصدقاء في مقلتي رفيقة ، والمناقيد المضفورة من لهيب ، لا تحبل بها الا كل نفس شاعرة خصبة .

ترنيمة : احمد سويد

في كلامنا الدارج الفاظ عذبة ، اذا ما تمكن الفنان من ترويجها اتى بالعجب العجاب . وفي هذه الترنيمة ، تطالعنا احدى هذه الالفاظ ، واعني بها : «مشحة نور » الواردة في المستهل . فهي تحوز على دينامية موسيقية معبرة لا تمدلها اية لفظة في لغتنا الفصحى .

وبعد فالاسلوب الذي يوقع هذه الترنيمة ، يجمع بين الواقع والحلم على غرار اسلوب بابلونيرودا ولوركا . فانت ستمر على ذري ثـاويات في عين ، ونهار ميت عند سفح أخضر ، وكرة شحرور تتدحرج ، ومهد يتكور في جفن ، وغيرها من القول النحيت ، قد عودنا عليه احمد سويد في قصصه ونثراته الشعرية

المروحة : أبو القاسم سعد الله

حول اسطورة المروحة وما خلفت من جنون وخراب ، بنى الشاعر قصيدته ليظهرنا على الحالة التي تعيشها الجزائر اليوم . ولكن النكتة ليست هنا . بل في الحقيقة المرة التي تتلبس الجزائر الى حد يسمح لنا باستغلال الاساطير دون ان نشط عن الواقع في كثير او قليل . الا بئس الحريات التي تبشر بها كتب ذلك الممثل وبعثاته ، ان كانت الغاية توصلنا الى مسخ الحقيقة اسطورة ، وقلب الاسطورة حقيقة ، ولا ازيد ، فالحديث قـد يطول حيث لا متسع للاطالة .

وبرجوعنا الى القصيدة ، اعترف للشاعر باني قرأتها مراراً . وفي كل مرة كنت اخرج منها بمحصولي الشعري لا يزيد على بعض لمع متناثرات . والعلة في ذلك تعود الى ان القران اللفظي او البناء عـلى طريقة الشعر الحر لم يستكمل عدته بعد ، فجاءت الصور باهتة في اماكن ومشرقة نوعاً في اماكن اخرى .

خذ القسم الاول مثلا ، ثم خذ هذا القسم الذي خرج فيه الشاعر عن الوزن وكسر رقبته .

فالرجال – للسجون والرصاص – والنساء – متعة مثل المتاع
قد يبعن او يقتلن خماص
والصغار للضياع .

فالنون في السجون ، والنون في يبعن ، والراء في والصغار لا تستقيم الا اذا اشبعت حركتها . واذا قلت ان ذلك قد يجوز في « الرمل »اقول لك نعم. ولكنه قبيح يا أخي قبيح.

رسالة : ابو المكارم عبدالله

عتاب رقيق في قالب يحاول فيه الشاعر ان يستفيد من الحديث المألوف: (يا صديقي مرت الايام والايام لكن لم تقـل لي اي سر غيبك – وتعاهدنا على ملء الرسالات كلاما – يا صديقي انت لا تعرفني الآن كمثل الاخرين – انما انت صديقي وانا انتظر اليوم الذي تكتب فيه بعض ما كنا اتفقنا)

سوى ان ورود هذه « الآن » في خمسة ابيـات متلاحقات حرقت ديني . فاحذفها يا صديقي او خل واحدة او اثنتين اذا شئت تسلم مـن القيل والقال .

فلسطينية نازحة : عزيزة هارون

بعد قراءة هذه القصيدة ، حضرتني ايام الدراسة ، والسويعات التي كنا نقضيها مع استاذ المعاني والبيان ، وحزوراته .

كان مثلا يتلو علينا مطلع قصيدة ما لشاعر من الشعراء القدامى ، ثم يتبعه بصدر البيت الثاني وحشو عجزه ، طالباً الينا ان نتنبأ بالقافية . وغالباً ما كنا نحزر لتوقعنا ان الشاعر لن يستعمل الا هذه اللفظة او تلك .

ان هذا « التوقع » الذي نلمحه في ابيات فلسطينية نازحة ، آخذ في الانزلاق ان لم يكن قد انزلق نهائياً عـن مراقي الشعر الحديث . والا فدلني اين الجدة في هذه القصيدة ؟ في رأيي ان عمل السيدة هارون لم يتجاوز اهتداءها الى تعابير جاهزة القتها في نغم : « لن أخلف عهدا – رف ريحاناً وورداً – فارسي في حومة الحرب تردى – وغداً يشتد زندا – عقت طيبٍ وندا – واعدتني فرندا ...الخ »

ثم اني لم ارتح لتركيب هذا البيت :

انا لا اعرف يافا بلدتي بالروح تفدى

وانا ان ابد قاسياً في حكمي على الشاعرة هنا ، فلانني اريدها ان تخلص من هذا الطراز : ولانني قرأت لها ما هو افضل من هذا بكثير .

اغنية في شهر آب : بدر شاكر السياب

ارى من الضرورة قبل ان نشرع بهذه الاغنية، ان اورد هذه العبارة لأليوت . واذا كان يلوح للقارىء اني ألجأ الى هذا الشاعر دون سواه ، فلانه هو الوحيد بين الشعراء المحدثين – بعد بول فاليري ومالارمه – الذي سجل تجربته الشعرية في امانة وحماس اهلاه في بلاده لاحتلال المركز الاول في النقد ، فضلا عن مركزه الاول في الشعر .

يذهب إليوت الى « ان صنعة الشاعر في بعض مراحل تتركب مـن البحث عن الامكانات الموسيقية التي يقدمها الميثاق الراسخ الذي تقوم عليه علاقة اللغة الشعرية بلغة الحديث . كما ان صنعته في مراحل اخرى تتركب من اصطياد تطور الحديث المألوف الذي لا يختلف في شيء عـن تطور الفكر والشعور » .

والذي يقف على هذه القصيدة ، يشيم اثر هذه التجربة الـتي لا يجهلها شاعرنا :

الليل اتى يا مرجانه – فاضيئي النور . وماذا ؟ اني جوعانه

او :مرجانه .. هل قرع الجرس – فتقول ويخطفها النفس – في الباب نساء – وتعد القهوة مرجانه

او زوجي سيعود الى الدار – من بيت صديق او بار

او والضيفة تضحك وهي تقول : خطيب سعاد – جاقاها ، وانطوت الخطبة ، – الكلب تنكر للكلبة .

ومما يلاحظ كذلك ، ان الغرابة المقصودة في الصور ، والسرعة في الانتقال بينها ، والركون الى الاسطورة او الزمن التاريخي لافادة الزمن السيكولوجي التي نلمحها في شعر اليوت ، نلمح شيئاً منهـا في هذه القصيدة .

تموز يموت ومرجانه – تتعوذ مـن عقد السحر – والليل الراكد بالحضر .

أو فالناس كثير ، والظلماء – نقالة موتى ، سائقها اعمى وفؤادك جبانه

واخيراً اقول : انها محاولة موفقة تدين الى المتدارك بالكثير . واترك امر التأويل والحصر خوفاً من السقوط في ما سقط فيه « آلان » حين عمد الى قصائد بول فاليري يشبعها تأويلا وحصراً .

رسالة الى لوتي : محي الدين فارس

من خلال مأساة لوتي الطالبة الزنجية التي اوصدت دونها جامعة الاباما الابواب ، مضى الشاعر يعدد مآسي الزنوج في افريقيا والعالم الحر كما يسمونه ، في اطار من اللوحات المتلاحقة يرشح حيوية وأصالة وجـدة تنتزع الاعجاب .

الا ان تراوحه بين ثلاثة اوزان لا يجمعها تقارب ايقاعي لم يرق لي كثيراً . وكذلك تشبيهه : كسحابة غيم ، ولفظته : المعشابة التي لا تصح .

اما هذه « اللا » الواردة في بيته :

لا لانك مثلي سوداء مثلي

فلم اجد لها محلا . كما لم اهتد الى معنى لهذا البيت فضلا عن انه مكسور على هذا الشكل :

وفوقهم الليل .. ليل التباريح وحسن يسف

وختاماً تحيتي ومعذرتي للجميع .

هنري صعب الخوري

القصص

بقلم موريس كامل

الحمد لله .. ثم الحمد .. ان القصص ، في العدد الماضي من الآداب ، ثلاث ... وسر الحمد له ، اني لن انقد غـير قصص ثلاث ، وبالتالي لن « اكسب » الا عداوة اشخاص ثلاثة .. هذا اذا عدت العداوة « كسباً »!

اقول « العداوة » لان مفهومنا للنقد يقف على رأسه .. ولا يمشي على رجليه : اننا نطلب من الناقد ان يحمّل « المبخرة » ويصلي « للمنقود» ليريح ، ويستريح .. وينال رضى ربه ! والناقد ، هو الآخر ، لا يفهم النقد الا تحطيما وتحطيباً ، فلا يحكم على الآثار الا برديئها !

ولا ريب ان اعدل المواقف هو القانون القائل بالحكم على الآثار بجيدها ثم برديئها .. فيعدل الناقد ، ويريح ضميره . اما التبخير للتبخير .. والتحطيم للتحطيم .. فلا مكان لهما في النقد .. ومحاربتهما واجبة شفقة على الآثار من عبث العابثين

هذه المقدمة تشير من بعيد الى طريقتي في النقد

واولى القصص التي اضعها على « المحك » – بالاذن من ابي محمد – هي قصة « مناجاة » لذي النون أيوب

١

مكان القصة : « فيينا » عاصمة النمسا (فالكاتب يشير الي انه كتبها في فيينا) او في مدينة من مـدن المانيا حيث يتعلم الكاتب اللغة الالمانية . وينتهز كل فرصة ليصغي الى احاديث الناس وحوارهم ، ليفهم اللغـة الالمانية سماعاً ..

ومن اجل سماع احاديث الناس صار يكثر من التردد عـلى « كافي باري » – « المقصف الذي يزدحم بالناس الى درجة استحالة المرور بين المقاعد ، فيصبح الجلاس حول المناضد الصغيرة ، وكأنهم في جلسةواحدة، وقد يتقاربون حتى ليكاد البعض يحتضن البعض »

وتبدأ القصة في صبيحة يوم احد : قصد المقهى وكان يوشك ان يغص بالرواد .. وسرعان ما اكتظ المقهى .. ولمح الكاتب شابا ورفيقةيتجولان حائرين .. واقتربا من منضدته ، واستأذناه بالجلوس معه . ويظهر انهما اطمأنا الى درجة جهله اللغة الالمانية فخاضا في الحديث بكل حرية ، دون ان يعبأا بوجوده فاتيحت له فرصتان : فرصة التمرن على السماع وفرصة الاستطلاع والفضول ..

ويبدأ الحوار :

الغانية : انكم معشر الرجال فجرة فاسقون

الرجل : الا استثنى من هذا التعميم يا « هرتا » ؟..

ويتناقشان في موضوع الزواج .. وفي حديث العينين .. وفي حب الرجل للاجسام الرشيقة :

الرجل : ها انت ذي قد ادركت السبب يا « هرتا » ، ان هـؤلاء الرجال يدركون بمجرد النظر ان لك جسما دافئاً لذيـذ الملمس ، عذب المذاق ..

الغانية : ما اقبح ما تقول . انك لا تفتأ تردد امثال هـذا الكلام البذيء .. اني لاتصورك احيانا احط رجل في « فيينا »

الرجل : وانت تبدين احيانا .. حين تخشنين القول وتبدئين الشجار .. من احط نساء « فيينا » ...

وتعتذر الغانية :

– هل اغضبتك مرة اخرى ؟ إرجو معذرتك ..

وسبب غضبها ، او غضباتها ، كما يفهم مـن مجرى الحوار : الغيرة . فتقول له : « اني اريد ان تكون نظراتك لي وحدي »

– اني اريد رجلا لي وحدي . لقد بلغت الثلاثين ، وكان الاحرى بي ان اتزوج ، ولعل سوء طالعي هو الذي رماك في طريقي ..

ويقول الرجل : ولكنك تعيدين ما اعتادت زوجتي ان تقول ..

ويتشاجران من جديد .

ومن جديد تعتذر الغانية :

– هات يدك ولنكف عن الشجار ..

– ولكن حذار من ان تنشي فيها مخالبك الجميلة .. ان ذلك من عاداتك السيئة . فلو كنت تدركين كم تؤلم هذه الاظافر المصبوغة المدببة لتركت هذه العادة السيئة

– اعلم ذلك .. وعادتي السيئة هي ان اجبرك على تقبيلي كلما مررت

بسرب من الحمان . او ليس من حقي ان اعلن لهن انك محجوز ؟

– بعبارة اصح محجور عليه. لقد حجرت علي زوجي قبلك فهربت منها..

وغادرا المكان

فهذا الحوار لذيذ طريف يكشف عن مقدرة الكاتب في اجراء الحوار الطبيعي النابض بالحياة . غير ان هذا الحوار – وهو كل القصة – لا يشكل قصة . ففيه عرض لاشخاص القصة وبيان لوضعهم . هنا فتاة في الثلاثين تحب رجلا متزوجاً وتغار . هذا كل شيء . اما عنصر الحادثة فلا وجود له . بكلام آخر ليس في القصة « نقطة ارتكاز » تدور حولها القصة . فهذا الحوار يعد مدخلا لقصة طويلة تتضح فيها خيوط المأساة .. وتقرر فيها مصائر الابطال : العاشقة والزوج والزوجة

فهل يوافقني المؤلف ؟

٢

« العم جمة » .. القصة الثانية من قصص العدد الماضي من الآداب ، قصة من القاهرة كتبها « ثروت سرور » . وهي تبدأ عميقة عنيفة مثيرة تمسك النفس وتثير التفكير

ففي البداية « انا » تتكلم :

– « كلا ، لن ابيع عمري ...

« فالحياة ... اغلى من كل ما اقبضه ثمناً لها

« انني قبلت ان ابيعها لصاحب العمل بسعر الشهر ... وهذا يعني بدوره انني لن اقيد شيئاً ، لانه سيسرقني حياتي ، وسيمتص دمي ليعيش بها حياة على حياة ، ولن يترك لي مقابل كل ذلك الا ما يكاد يكفي لشراء كفن جميل ... »

وتجري « الانا » عملية حسابية بسيطة لتعرف كم يساوي عمرها ... وتثور للنتيجة .. وتصرخ :

« لن ادع فرصة الحياة تمضي هكذا في بساطة كما يفعل اغلب الناس... وكما يفعل عم جمة »

فما هي مأساة العم جمة التي توازن « الانا » بين مأساتها ومأساته ؟

العم جمة : عامل في مصنع « استطاع ان يقهر الزمن بما اوتي من القدرة على الاستخفاف بكل شيء ، والسخرية من كل شيء »

« كان يعيش حياته كغريب مسافر لا يلبث حتى يغادر الدنيا ، وان كان لا يعرف موعد القطار . فذاته لا تهمه الا بقدر ما تهم هؤلاء الناس الذين لا يهتمون به » . لكن « الانا » كانت تلمح وراء سخريته الكثير من الالم والمرارة ...

وتمضي « الانا » في وصف العم جمة الذي لم تكن تراه الا وتضحك من الاعماق

انه خفيف الروح .. سريع البديهة . سليط اللسان .. يضحك الجماد. « كان يتولى مهمة الترفيه » عن زملائه « طوال الطريق الذي يستغرق بسيارة الشركة ، من القاهرة الى المصنع ، حوالي الساعة »

لقد جعل من السيارة مسرحاً « للريحاني »

وتمضي القصة .. او تمضي بها « الانا » في سلسلة مواقف يسيطر عليها « تهريج » العم جمة

سلسلة مفارقات واحداث لا تنم عن تقدير جمة لحياته – « فالعم جمة لا تهمه ذاته » – لكنها في الوقت نفسه لا تكشف عن الالم والمرارة اللذين تلمحها « الانا » وراء سخرية العم جمة

فالتهريج – او السخرية – في حياة العم جمة سيطر على المأساة ناول من حدتها .. وجمالها

وفي النهاية تشاهد « الانا » العم جمة « قد اعتلى ماسورة ضخمة على ارتفاع يزيد قليلا عن العشرة امتار » يعمل على لحامها ، وتشفق على السبعين عاماً .. ويثور قلقها ، وتنظر الى الماسورة مرة بعد مرة ثم تجدها في لحظة رهيبة « خالية تماماً » : لقد سقط العم جمة .. ومات ، مات ميتة فظيعة « لان ذاته لم تهمه » يوماً

ان « الانا » لا تريد هذه النهاية لنفسها

لا تريد ان تنسى ذاتها ، وتفقد حماستها واراءها .. ويقل اهتمامها بحياتها كالعم جمة « المهرج » .. بل ستناضل في سبيل حياة افضل

ولا ادري ..

ان هذه القصة لو قوم فيها المقطع الخاص بتهريج العم جمة .. لغدت واحدة من « امهات » القصص في ادبنا العربي الحديث ..

٣

تبقى قصة الشهر او « تاريخ حياة صنم » بقلم عبد الرحمن فهمي

اراد ها المؤلف اسطورة من « الف ليلة وليلة » ليتمكن من نقد « وضع معين » في « بلد معين » دون ان يطاله « قانون اعرج » معاد للحرية

فان فقدان الحرية – حرية نقد الاصنام – جعله ينحو منحى الرمز في اسطورته

والاسطورة ، بعد ، حكاية قاطع طريق « انبثق النور في قلبه » بفعل الحب . فتاب عن خطاياه . حكاية ترويها « شهر زاد » على « شهريار » فيصبح هذا الاخير : « قاطع طريق يتوب !.. جميل ! »

وتمضي شهر زاد « الحكواتية » في حكايتها الجميلة :

« ماهاتان » النائب يجتمع « بماهاتاب » ابنة الاله « مونا » .. فتاة مقدسة بين فتيات مقدسات « يولدن وفيهن علامات يضعها الاله ليدل الكاهن الاعظم على انهن بناته .. فيتولى الكهنة رعايتهن حتى ينضجن » ثم يرسلون للاله كل عام واحدة منهن .. يحرقونها بالنار المقدسة

ويحاول قاطع الطريق النائب ان ينقذ حبيبته من مصيرها بالرشوة – رشوة الكاهن الاعظم بالذهب – فيخفق

وفي مساء الحفل المقدس الذي يجري فيه حرق « ماهاتاب » يتسلل « ماهاتان » الى قلب الهيكل « ويهوي بالخنجر اللامع الى ظهر كومو – الكاهن الاعظم – في طعنة موفقة من يد مدربه » ويطلق « كومو » صرخة مذعورة ، ويتهادى على قدمي « ماهاتان »

ويتقدم الكهنة من القاتل يسدون امامه طريق الهرب ..

وفجأة « حدث شيء غريب .. فقد خر الكهنة ساجدين امامه » وتقدم احد الكهنة وامسك بيد « ماهاتان » يقبلها

ان « ماهاتان » هو سيد الكهنة الذي حدثت عنه الكتب « قاطع طريق تائب .. يأتي من بلاد غريبة ويقتل الكاهن الاعظم خلف المذبح ... »

ثم امسك بيده وقاده الى الجدار الذي يختفي خلفه الذهب ، ودفع حجراً .. ونظر ماهاتان .. فارتد بصره امام البريق المتلالىء ..

وقال الكاهن : هذه كنوزك ايها المقدس

وقاده الى حجرة الذهب ..

واشرف الصباح .. وبدأ الراقصون رقصتهم حول النار .. وارتفع قرع الطبول . وظهر شبح مدثر ملثم يحمل عصا الكاهن الاعظم .. ورفع يده ، فادركت « مهاتاب » ان النهاية قد حلت .. واغمضت عينيها ..

ووقفت على حافت النيران .. ورفع الكاهن الاعظم اللثام عن وجهه قليلا .. ولمحت « مهاتاب » ملامح تعرفها جيداً .. ملامح كانت تبكي معها في الليل .. ولكنها رأتها الآن جامدة متحجرة .. ولم تصدق عينيها .. ولكن اللثام ارتفع تماماً فلم يجعل لديها شكا ولا ريبة .. انـه « مهاتان » حبيبها

وهوت الى النيران وهي تصرخ : ماهاتان

ولكن صرختها ضاعت وسط ضجيج الطبول ...

وصمتت شهرزاد . وسأل شهريار : ثم ماذا ؟

– لا شيء .. انتهت القصة

– انتهت ؟ انها قصة سخيفة .. ماذا حدث لماهاتان بعد ذلك ؟

فقالت شهر زاد :

– حدث له ما ينبغي ان يحدث . فقد اصبح صنما .. في كل يوم يحمل اليه الذهب .. وفي كل عام تتلقف النار عذراء .. حتى ..

وسأل شهر يار : حتى ؟

– حتى جاء يوم رفضت فيه احدى العذارى ان تساق الى المحرقة .. فثارت في الكهنة .. وثارت معها فتيات القرية .. وايدهن الرجـال في ذلك .. ثم قام الجميع الى « موتا » – الاله – فحطموه .. والى ماهاتان – الكاهن الاعظم – وكهنته فعلقوهم في المشانق

.. ومضت الحياة في طريقها السوي

قلت ان هذه الاسطورة تنحو منحى الرمز . انها حكاية اللصوص الذين يتاجرون بالمبادىء ليتوصلوا الى الحكم .. فاذا وصلوا تحجروا وانقلبوا اصناماً .. وكفروا بالمبادىء .. وعاشوا للذهب

انها قصة الحكم في بلدان معينة من شرقنا العربي

فالكاتب في اسطورته ابن مقفع جديد يثور على « منصور » جديد ، باسلوب اسطوري جديد فيـه كل مقومات الاسطورة .. واكثر مقومات الفن

وامنيتي الوحيدة ، في هـذا المجال ، ان يقف الكاتب في اسطورته (عندما ينشرها في كتاب) عند مقتل « مهاتاب » .. وان يتوسع في تحليل نفسية اللص قبل التوبة ليبرر انقلابه في النهاية .. ليصور عودة الطين الى الطين

وامنيتي ان يكتب ليلة ثانية من ليالي الف ليلة وليلة قوامها الثورة على الصنم . ففي اسطورته الحالية صورة لواقع رجال معينين . بقي ان يرسم طريق الخلاص في اسطورة ثانية .. لتتم الغاية

فكل ما في الخاتمة يشير الى هذه الغاية الاصلاحية

***

قلت في مطلع كلمتي انى ساكسب عداوة اشخاص ثلاث .. هذا اذا عدت العداوة « كسباً »

وارى في نهاية كلمتي اني لن اكسب الا صداقة اشخاص ثلاثة ..

موريس كامل

صدر حديثاً عن :

المكتب التجاري
للطباعة والتوزيع والنشر

محمد التابعي

نساء في حياتي
بعض من عرفت ...

الثمن ١٥٠ ق . ل

سعيد تقي الدين

غداً نقفل المدينة

الثمن ١٥٠ ق . ل

بقلم الكاتب اليهودي
إلمر بيرغر

إسرائيل ..
تحيات
باطل يجب أن يزول

الثمن ١٥٠ ق . ل